شمسا ولكن ما لها من مغيب ٭ اذ انجلت بعد طول ارتقابه ٭ صرف عنها اللحظ خوف الرقيب
من عاذري منه فؤاد اصبا ٭ للامع البرق وخفق الرياح ٭ يطير ان هب نسيم الصبا
تعبره الريح خفوق الرياح ٭ ما اولع القلب بعهد الصبا ٭ وهل على من صبا من جناح
تقلبه من شوقه في التهاب ٭ قد احرق الاكباد منه اللهيب ٭ والجفن منه سحبه في انسكاب
قد روض الخد بدمع سكيب ٭ غرناطة ربع الهوى والمنى ٭ وقربها السؤل ونيل الوطر
وطيبها بالوصل لو امكنا ٭ لم اقطع الليل بطول السهر ٭ عما قريب حق فيه الهنا
بيمن ذي العودة بعد السفر ٭ وتجد الناس نجاح الاياب ٭ بكل صنع مستجد غريب
ويكتب الفال على كل باب ٭ نصر من الله وفتح قريب ٭ ما للنه الاملاك الا القنص
لانه الفال بحسد العدا ٭ كم شارد جرع فيه الغصص ٭ واورد المحروب ورد الردا
وكم بد المحص لنا من حصص ٭ فدجمع الناس بها ادا الندا ٭ ومنها بعد ابيات
مولاي مولاي وانت الذي ٭ جددت بالاملاك عهد الجلال ٭ والشمس والبدر من العوذ
لمارات منه بديع الجمال ٭ والروض في نعمته يغتدي ٭ بطيب ما قد حزته من خلال
بشراك بشراك بحسن المآب ٭ تستضحك الروض بثغر شنيب ٭ ودمت محروس العلى والجناب
بعصمة الله السميع المجيب ٭ انتهى ما انتقيته من كلام ابن زمرك ومن كتاب ابن الاحمر رحمهما الله
تعالى وقد عرفت منه ما تسنى للغني بالله ابن الاحمر من الفتوحات والسعود ونفاذ الامر على ملوك المغرب فهو لاحق
يقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى ٭ ملك اذا عاينت منه جبينه ٭ فارقت والنور فوق جبينه
واذا التمست يمينه وخرجت من ٭ ابوابه لثم الملوك يمينه ٭ وكان الغني بالله المذكور معتقدا
في الصالحين حتى انه كتب وهو بفاس مخلوع الى ضريح ولي الله سيدي ابي العباس السبتي بمراكش من انشاء وزيره
لسان الدين على لسانه يا ولي الله انت مطلع الابيات والنثر وقد ذكرتهما في الباب الخامس فرجعه وكان ذلك
بفضل الله تعالى معنونا رجوعه الى ملكه وتظم تلك الاماكن في سلكه حتى حصل له من السعة ما لم يحصل لغيره
حسبما يعلم ذلك من كلام لسان الدين وابن زمرك وغيرهما والسبتي المذكور هو سيدي ابو العباس احمد بن
جعفر السبتي الخزرجي الولي الصالح العالم العارف بالله القطب ذو الكرامات الشهيرة والمناقب الكثيرة والاحوال
الباهرة والفضائل الظاهرة نزيل مراكش بها توفي سنة احدى وستمائة وولادته سنة عام اربعة وعشرين
وخمسمائة ودفن خارج مراكش وقبره مشهور مقصود باجابة الدعاء وقد زرته مرارا كثيرة فرايت عليه
من ازدحام الناس ما لا يوصف وهو ترياق مجرب قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى كان سيدي
ابو العباس السبتي رضي الله عنه مقصود الحياة مستغاثا به في الازمات وحاله من اعظم الايات الخارقة
للعادة ومبنى امره على انفعال العالم عن الوجود وكونه حكمة في تأثير الوجود له في ذلك اخبار ذائعة وامثال
باهرة ولما توفي ظهر في هذا الاثر على تربته وثبت بحكم التسجيل على مكانه عادة حياته ووقع الاجماع على تسليم
هذه الدعوى وتخطي الناس بمباشرة قبره بالصدقة الى نعيما الله من اماكنهم على بعد المدى وانقطاع الاماكن
القصوى تحملهم اجنحة نياتهم فتهوي حالية بمقاصدهم من كل فج عميق فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة
وقال ابن الزيات كان ابو العباس قد اعطي بسطة في اللسان وقدرة على الكلام لا يناظره احد الا افحمه ولا يسأله
الاجابة كان القرآن والحج على طرف لسانه حاضرة باخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه ياتيه المنكرون
للانكار فما ينصرفون الا مسلمين منقادين وشانه كله عجيب وهو من عجائب الزمان وحدثني مشايخنا انهم
سمعوه يقول انا القطب وحدثني ابو الحسن الصنهاجي من خواص خدامه قال خرجت معه مرة لحصن غابة
الرمان يوم عرفة فجلسنا هناك وصلينا فقال لي انما سمي هذا اليوم يوم عرفة لانتشار الرحمة فيه لمن
تعرف اليه بالطلعات وقد فاتنا عرفة فقال نمثل بهذا المكان ونعمل كما يعملون لعل الله تعالى يتغمدنا برحمته
معهم فعد مكانا دائرا بالعين الكعبة ومحل عنصر الماء الحجر وموضعا اخر مقام ابراهيم فطاف بالمعين اسبوعا
وانا اطوف بطوافه وكبر على العنصر في كل طواف وصلى مثل المقام ركعتين تامتين واطال في سجود
الثانية ثم استند الى الشجرة ثم قال لي علي اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقضى فان الله تعالى
وعد في هذا اليوم من تعرف له ان يقضي حوائجه فقلت له ما اريد الا التوفيق فقال لي ما خرجت معك
من باب المدينة حتى وقفت فسالته عن حال بدايته الى نهايته وبما تنفعل له الاشياء ويستجاب له
الدعاء فقال صار دابا امرا بالصدقة والايثار من شكا اليه حالا او تعذر عليه مطلب في هذه الدار
فقال لي ما امر الناس الا بما ينتفعون به واني لما قرات القران وقعدت بين يدي الشيخ ابي عبد الله
الفخار تلميذ القاضي عياض ونظرت في كتب الاحكام وبلغت من السن عشرين سنة وجدت قوله
تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان فتدبرته وقلت انا مطلوب بهذا ثم ازل ابحث عليهما الى ان وقفت
على انها نزلت حين اخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار وانهم سالوا النبي صلى الله
عليه وسلم ان يعلمهم حكم المواخاة فامرهم بالمشاطرة ففهمت ان العدل المامور به في الاية المشاطرة
ثم نظرت الحديث تفكرت فاتى على ثلاثين فرقة الحديث وانه صلى الله عليه وسلم قال صبيحة
الذي اخى بين المهاجرين والانصار وذكر له الانصار انهم شاطروا المهاجرين فقال لهم ذلك بانزه
فعلمت ان الذي هو عليه واصحابه المشاطرة والايثار فعقدت مع الله نية ان لا ياتيني شيء الا شاطرة
فيه الفقراء فعملت عليه عشرين سنة فاثمر لي الحكم بالخاطر فلا احكم على خاطري بشيء الا صدق فلما كملت

اربعين

اربعين سنة راجعت تدبر الاية فوجدت الشطر هو العدل والاحسان ما زاد عليه فعقدت مع الله
نية لا ياتيني قليل ولا كثير الا امسكت ثلثه وصرفت الثلثين لله تعالى فعملت عليه عشرين سنة
فاثمر لي الحكم في الخلق بالولاية والعزل فاولي من شئت ثم تعاطيت بعد ذلك في اول ما فرضه الله على عباده
ومقام الاحسان فوجدت شكر النعمة بدليل اخراج الفطرة عن المولود قبل ان يفهم ووجدت اصناف من
تعرف اليهم الصدقات لكن الواجبة وسبعة اصناف اخراص تجافيها الا الاحسان والزيادة وذلك ان لنفسك
عليك حقا وللزوجة حقا وللرحم حقا ولليتيم حقا وللضيف حقا وذكر صنفين اخرين فانتقلت الى هذه
الدرجة وعقدت مع الله تعالى عقدا ان كل ما ياتيني امسك سبعه حق النفس وحق الزوجة واصرف
الخمسة لاسباع لمستحقيها فاقمت عليه اربعة عشر عاما فاثمر لي الحكم في السماء فمتى قلت يا رب فقال لي لبيك
ثم قال ان نهايتي تمام عمري وهو ان تنقضي لي ستة اعوام تكملة العشرين عاما قال الصنهاجي فاؤرخت
ذلك اليوم فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ المكتوب وحققت العدد فنقصت من الستة الاعوام
ثلاثة ايام خاصة فيحتمل ان يكون من الشهور الناقصة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب وقال ابو بكر بن مساعد
جاء بعض السلاطين الى ابي العباس وهو راكب وقال له الى متى تخبرنا ولا تنصرح لنا عن الطريق فقال له هو
الاحسان فقال له بين لي فقال له كلما اردت ان يفعله الله معك فافعله مع عباده وقال له ابو الحسن
الجبار اما ترى ما فيه الناس من القحط والغلاء فقال انما حبس المطر لبخلهم فلو تصدقوا نزل المطر وافعل لاصحابك
الفلاحين تصدقوا بمثل ما انفقتم تمطروا فقال له لا يصدقني احد ولكن استسلف خلقا وتصدق
بها كما امره قال فخرجت الى البحيرة التي عمرتها والشمس شديدة الحر فايست من المطر ورايت جميع ما غرست
مشرفا على الهلاك فاقمت ساعة فاذا سحابة امطرت البحيرة حتى رويت وظننت ان الدنيا كلها مطرت
فخرجت فاذا المطر لا يتجاوزها انتهى والحكايات عنه في مثل هذا كثيرة وقال ابن الخطيب القسمطيني وجلست
حضرت عند الحاج الصالح الورع الزاهد ابي العباس احمد بن عاشر بمدينة سلا وقد ساله احد الفقراء عن كرامات
الاولياء فقال له لا تنقطع بالموت الكرامة انظر الى السبتي اي الشيخ الفقيه العالم المحقق ابي العباس السبتي المدفون
بمراكش وما ظهر عند قبره من البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات سمعت يهوديا بمراكش يلجا الى بركته ويناديه
باسمه في امر اصابه لا مع المسلمين فسالته عن سببه فاخبرني انه وجد بركته في غير موطن فسالته عما دل اليه
وقت فقال لي وحق ما انزل على موسى بن عمران ما اذكر لك الا ما اتفق لي سرت ليلة مع قافلة في مغارة فوجعت
دابتي فما شكلت في قلبي وسلب مالي فجلست وبكيت وبيني وبين الناس بعد وقلت يا سيدي يا ابا العباس خاطرك
قال لي والله ما تممت الكلام الا واهل القافلة اصابهم سبب وقفوا وضربت دابتي وحمل عليها ثم زال
واتصلت بالناس فقلت له لم لا تسلم فقال حتى يريد الله تعالى وعجبت من كون ذلك من يهودي وهذه شهادة
من عدو في الدين ولقد وقفت على قبره مرات وسالت الله تعالى في اشيا تيسر لي منها سؤلي منها ان اكون ممن
يشتغل بالعلم ويوصف به وان ييسر علي فهم كتب عينتها فيسر الله علي في ذلك في اقرب مدة وكان السبتي ابن في احواله
ما ادرك صحبة الا الخواص من الناس وكان اصل مذهبه الحض على الصدقة وكان امره عجيبا في اجابة الدعاء
بنزول المطر واختصاصه بمكان دون اخر وقال لاصحابه انا القطب وكان تفقه على ابي عبد الله الفخار ودفن
على قبره وله بركات ونوادر وكان السبتي اية في المناظرة واوذي باللسان كثيرا جدا فصبر وتجاوز وراى عبد الرحمن
ابن يوسف الحسني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يا رسول الله ما تقول في السبتي وقال كنت سيء
الاعتقاد فيه فقال لي بعد ان تبسم هو من السباق قال فقلت بين لي يا رسول الله فقال هو ممن يمر على الصراط
كالبرق قال فخرجت بعد الصبح فلقيني ابو العباس فقال لي ما رايت وما سمعت والله لا اتركك حتى تعرفني
فعرفته وصاح كلمة الصفا من المصطفى انتهى ببعض اختصار وقال ابن الزيات وحدثني ابو العباس الصنهاجي
وغيره ان رجلا يعرف بابن السكاف وكان غنيا فدار عليه الزمان وافتقر فحدث انه وصل الى ابي العباس السبتي وعليه
ثوب خلق تظهر منه عورته فشكى اليه حالته فاخذ بيده الى ان خرج معه باب تاغزوت فجاء الى مطهرة هناك
قال فدخل ابو العباس المطهرة وتجرد من اثوابه وناداني وقال لي خذ هذه الثياب فاخذتها وكان بعد العصر
فاردت ان ارى ما يكون من امره فصعدت الى حائط هناك الى قرب المغرب فاذا الفتى خرج من الباب على دابته
معه رزمة ثياب فلما رايته نزلت اليه فقال لي ابن الفقيه ابو العباس فقلت ها هو في الساقية عريان
فقال لي امسك الدابة فسمعت الفقيه يقول له ابن تلك الثياب فاخذها منه وخرج فلما راني قال
وما لك هنا قال يا سيدي خفت عليك فلم اقدر على الانصراف واتركك فقال لي فترى الذي
فعلت ما فعلت لم تتركني ثم سال الفتى عن سبب وصوله اليه فذكر له ان احدى الكرائم امرته
ان يحمل اليه تلك الثياب وقالت له لا تدفعها الا للفقيه ولا يلبسها الا هو وهذه دفنة صحيحة
مشهورة وقال ابن الخطيب وروضته بباب تاغزوت احدى ابواب مراكش غير حافلة البنا
ربما يتبرع باحتفالها فلا تساعد الاقدار وربما شاهدت داخلها اشياء من اهل التعفف
والتصوف يسارقون بخفية الناظر الى مساقط رحمات الله عليها لكثرة زائريها يتحرون الحاجات
بابها خالعا لنعله مستحضرا نيته ويقعد بازاء القبر ويخاطبه بحاجته ويعين بين يدي النجوى
صدقة على قبره ويدسها في آواني في القبر معدة لذلك ومن عجز عن النقدين تصدق بالطعام
ونحوه فاذا خف الزائر اخرجها رعيه القائم الى التربة الى ما اودع هناك في تلك الاواني وفرقه على المحاويج
الحافين بالروضة ويحصون كل عشية ويعمهم الرزق المودع وان قصر عنهم كملوه قال ابن الخطيب لسان الدين

King Saud University
Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)